

فلننس، فلنوقع - أسامه عجاج المهتار

فيما ندفع عدد شهر شباط إلى النشر، انتشر خبر تقديم الأمين فارس سعد لاستقالته من رئاسة الحزب السوري القومي الاجتماعي. لم نفاجأ. لقد ارتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبه سلفه. إنه لم يمارس صلاحياته كرئيس. لن نطيل حول هذا الموضوع. إن المقالات التي نشرتها الفينيق حول الأزمة الحزبية التي انفجرت سنة 2016 توثق رأي هذه المجلة والقائمين عليها حول أسبابها وسبل الخروج منها. ولعل أبرزها ما جاء في مقال "حزب بلا قيادة" نعيد الإضاءة عليه اليوم لأن القوميين يجدون حزبهم، وهم على أعتاب مؤتمر انتخابي بعد أشهر قليلة، بلا قيادة.

إن كون الحزب بلا قيادة قومية اجتماعية، ومنذ سنوات، بل وربما عقود، قد ساهم في إيصال الحزب والقوميين إلى الوضع الذي نصّفه في بقية الافتتاحية والذي دفعنا لاختيار عنوان، "فلننس، فلنوقع" لها.

ردا على مقال "نهج فلسطين، نهج التحرير" حول ما سمي بصفقة القرن، وصلتنا رسالة ورد فيها - بعد تفصيل لمسارات التفاوض "المذلة" على حد تعبير كاتب الرسالة - ما يلي: "ربما بعد عشر سنوات، لن نجد ما نفاوض عليه، فالأفضل أن نوقع ونقبل بما مُنح لنا لأننا لا نملك من أمرنا شيئاً، ولن نملك في المستقبل."

كانت هذه ثاني مرة أسمع أو أقرأ فيها عبارة كهذه، خلال شهر، من شباب جامعيين بعضهم في الوطن وبعضهم الآخر في المهجر. كذلك جاء في الرسالة نفسها، "علينا ألا ننكر أن القضية الفلسطينية إرثٌ ملته الأجيال، أجيالنا وأجيال إسرائيل، وإذا وجدت اليوم من يتحدث بحماسة عن القضية، فاعلم أن هذا سيصبح من مخلفات الزمن البعيد. (خذ نفساً عميقاً)، كل الفلاسفة الذين أعجب بكتاباتهم، هم من اليهود، حتى المفكرين السوريين أو العرب ممن يملكون (فكراً بكرأ)، وليس (فكراً هجيناً)، هم من أصول يهودية. طبعاً لا أؤيد إسرائيل، لكن اليهود سيشكلون رافعاً حضارياً للأمة السورية المرتقبة."

قبل هذا كله، وحين أعلنت الفينيق أنها سوف تفتح ملف الأراضي المحتلة، استلمنا رسالة جاء فيها ما معناه، "انس الإسكندرون وأنطاكيا وكيليكيا. لقد أصبحت تركية ولن تعود." تلك الرسالة دفعتنا لوضع ما سميناه قاموس الفينيق للأراضي المحتلة. مثل هذا الكلام، وحتى الكلام عن فلاسفة يهود يسمعه المرء كل يوم تقريباً من مواطنين في الشارع على سويات مختلفة من العمر والعلم والخبرة الحياتية. المفارقة أن هذه العبارات الثلاث جاءت على السنة رفاقاً في الحزب السوري القومي، أو شبان تربوا في بيوت قومية اجتماعية!

هذه الظاهرة تستدعي الوقوف عندها كما استدعتنا للوقوف من قبل ظاهرة "التطيف" أو "التمذهب"

التي نشهدها من قبل بعض القوميين، مثل الصور التي يرفعونها في بلداتهم للزعيم مع رجال دين، أو في استعمال مراكز المديرية لأغراض دينية ومذهبية، وسواه الكثير. هذه كلها وقائع شهدناها في السنوات القليلة الماضية ولم تلق الاهتمام المطلوب من قبل المسؤولين، لا بل قوبلت بهز الكتفين، وعبارة، “لشو حامل السلم بالعرض؟”

هل الرأي الذي ورد في الرسالة فردي أم مؤشر لظاهرة تنتشر؟ في استقصاء سريع مع عدد من الرفقاء في الوطن والمهجر يتبين لنا أن هذه الظاهرة - الانحراف والقبول بالأمر المفعول - موجودة في أكثر من متحد. هل مرّ في تاريخ الحزب شيء مماثل لهذا؟ نعم. “الواقع اللبناني” و”النظرة الفلسفية الفردية” وما رافقهما أدتا إلى قيام الزعيم بطرد عدد من قيادات الحزب المسؤولة عن هذه الانحرافات. الأساس هو نفسه: الاستسهال والاستنساب. المشكلة، اليوم، أنه لا يوجد من يحاسب.

هل يجب أن تشغل هذه المسائل بال قوميين؟ طبعاً. علينا ان نعرف ما الذي يدفع عددا من الشباب القومي إلى اتخاذ مثل هذه المواقف أولاً، ومن ثم وضع الخطط لمعالجتها. فجنوب لبنان ما كان ليتحرر لو ساد مثل هذا التفكير إبان الاحتلال الإسرائيلي؟ وإذا تخيلنا، بفكرنا، عن الاسكندرون وكيليكيا وأنطاكية، ألا نتخلى غدا عن إدلب وشرق الفرات؟

لقد كان لنا جواب على ما ورد في الرسالة ننشره فيما يلي.

“رفيقتي العزيزة، لحي سوريا

لا مشكلة لدي فيما ورد في عرضك لمسار المفاوضات ونتيجته. لدي مشكلة مع هذا القسم من الفقرة الرابعة: ” فالأفضل أن نوقع ونقبل بما مُنح لنا؛ لأننا لا نملك من أمرنا شيئاً، ولن نملك في المستقبل. علينا ألا ننكر أن القضية الفلسطينية إرثٌ ملته الأجيال، أجيالنا وأجيال إسرائيل، وإذا وَجَدت اليوم من يتحدث بحماسةٍ عن القضية، فاعلم أن هذا سيصبح من مخلفات الزمن البعيد.”

أنت الشخص الثاني، ومن جيلك، يقول لي مثل هذا الكلام في هذا الشهر. لعلي من مخلفات الزمن البعيد، ولكن لننظر بواقعية، إذ أن هذا ما اعتقد أنك تطلبينه. وفي واقعتي، سوف استند تحديداً إلى ما تفضلت به عن مسار المفاوضات المذلة فأسأل: هل أدى توقيع الفلسطينيين في أي من مراحل التراجع إلى الحصول على أي شيء مما وقّعوا عليه؟ الجواب بالنفي. لماذا إذن نتوقع ان نحصل على أي شيء إذا وقّعنا اليوم؟ في كتابي “خوفاً من ولكن” هناك مقال أقول فيه ان إسرائيل لا تمنع التوقيع طالما

هل أدى توقيع الفلسطينيين في أي من مراحل التراجع إلى الحصول على أي شيء مما وقّعوا عليه؟

انها غير ملزمة بالتنفيذ. بالتالي، لنفصل بين أمرين: الحق والقوة لتطبيق الحق. إذا لم يكن لدي القدرة اليوم على إحقاق حقي، فلا يعني هذا ان أتنازل عنه.

في التفاوض، هناك مبدأ يقول ألا تدخل في مفاوضات إن لم يكن وسعك ركل الطاولة والانسحاب ساعة تشاء. بكلام آخر، لا تدخل في مفاوضات من موقع ضعف. مشكلة رعاة أوصلو وما سبقه من مسار تنازلي فلسطيني هو انهم - قيادة منظمة التحرير آنذاك وما تلاها، صدّقوا الوعود العربية والأمريكية، فدخلوا في اللعبة وأصبحوا على لائحة موظفي المؤسسة الإسرائيلية غير القادرين على

الخروج من تحت سيطرتها.

أنا إذ أعترف بهذا الواقع أقول إنه لا يلزمي بالتخلي عن حقي في أرضي، بل العكس، يلزمي بالتمسك به والعمل على بناء القوة التي تمكّني من استرداده.

هل يمكن لليهود أن يكونوا
"رافعة حضارية للأمة
سورية المرتقبة؟"

أما بالنسبة لما ورد عن الفلاسفة والمفكرين والموسيقيين اليهود، فهذا موضوع معقد ولا يمكن النظر له بتبسيط، ولا الوصول الى النتيجة التي تفضلت بها دون تمعّن. إنك تستعملين أسلوب السوريين في المخاطبة (راجع رحباني المسيح السوري) لناحية المبالغة والقطع والجزم. ومع أنني أدرك المقصود من قولك لا بد لي من مناقشته كي لا يصار إلى الظن أني موافقك في كل ما ذكرت. بالتالي، هل كل الفلاسفة الذين تعجبين بكتاباتهم هم يهود؟ أليس هناك من مفكر واحد سوري أو عربي ذو "فكر بكر" من غير أصول يهودية؟ أعتقد ان الجواب عن السؤال الأول هو "كلا"، وعن الثاني "نعم". بالتالي، فإن هذا الإطلاق خطير، ليس لأنهم يهود. فإني كنت لأقول الكلام نفسه لو كنا نتكلم عن أية أقلية. الخطر هو في الأثر الذي يتركه هذا الكلام خاصة على من هم ليسوا على سويتك الثقافية ويتأثرون بك، فيظنون أن ما تقوليه حق بالكلية، فيما الأمر ليس كذلك، في رأي المتواضع.

إنها لحقيقة أن عددا ممن تركوا أثرا مهما في الحضارة الغربية، خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين، كانوا من اليهود. ولكن معظمهم كانوا من اليهود المتنورين الأوروبيين نتيجة ما يعرف بـ Emancipation أي "تحرير أو عتق" اليهود في أوروبا. كان لهذه الخطوة، والتي تمت بتدرج على مر القرون، أثرين واضحين: إنها أتاحت لعدد كبير من اليهود التحرر من وصاية الغيتو واكتساب العلوم كباقي رعايا دولهم، ولكنها في المقابل، أدت إلى تشدد أكبر لدى الحاخامات الذين قاوموا هذا الأمر وتحسّروا على خسارتهم لرعاياهم من اليهود نتيجة الاندماج، Assimilation. بالتالي، فإن عددا من اليهود المتنورين في بريطانيا وغيرها كانوا ضد تأسيس دولة إسرائيل وضد وعد بلفور ولكن هذا موضوع لبحث مستقل.

هل يمكن لليهود أن يكونوا "رافعة حضارية للأمة السورية المرتقبة؟" أولا، إن الأمة السورية هي حقيقة وليست أمرا مرتقبا. إنها أمة واقعة تحت عدد من الاحتلالات ومنتسخة نفسيا ومجزأة سياسيا ولكنها أمة حقيقية. ثانيا، في عبارتك هذه نعود إلى الإطلاق. هل نتكلم عن "كل اليهود" أم بعضهم؟ ولكن لنتجاوز هذه النقطة على صعوبة ذلك نظرا للآراء المتناقضة التي تسود الطيف اليهودي من "ناطوري كارتا" الراضة دينيا لدولة إسرائيل، إلى عتاة اليمين الإسرائيلي. أقول نتجاوزها فنسأل:

إن الأمة السورية
هي حقيقة وليست
أمرا مرتقبا.

أليس شرطا ضروريا لفرد أو مجموعة ان ينظر بعين المحبة والتعاطف والمساواة مع محيطه لكي يتمكن من أن يكون "رافعة حضارية"؟ هل يمكن لجماعة تنظر بقدرٍ وتفوقٍ عنصريين على أنها "شعب الله المختار"، وعلى أن "الله" قد وعدنا بأرضنا، وأنهم أسياد علينا وعلى سوانا من "الغوييم"، أن تنظر بعين المحبة والتعاطف والمساواة إلينا لكي تتمكن من أن تكون رافعة حضارية معنا، ولن أقول

لنا. عليك بالعودة الى سفر عزرا في التوراة وخاصة الإصحاح العاشر الآيات 10-12 لكي تعرفي أية عقدة نفسية وتاريخية تقف عائقا أمام ما تقولين. اقرأي عزرا، وقرأي التفاسير المسيحية له، ثم نتكلم عن الرافعة الحضارية. ولا يجوز ان يفهم من كلامي انه يتعلق باليهود حصرا. إنه يشمل أية جماعة تنظر إلى نفسها نظرة تفوق سواء استندت في ذلك إلى وهم ديني أم مذهبي أم عنصري، وصدقيني ان في بلادنا الكثير من هذه الاشكال. هل يمكن النظر لليمين اللبناني او العنصريين الاكراد أو غلاة الشيعة او السنة أو الدروز أو العلويين "كرافعات حضارية"؟ اترك الجواب لك.

إني افهم انبهارك في بعض ما تقرئين. ولكني أتمنى الا تسمح لي للانبهار ان يعمي بصيرتك عن الحقيقة والواقع. لقد أمضيت عمري في دراسة الحركة الصهيونية وتاريخ اليهودية والمؤسسة الإسرائيلية، وأقول لك بكل يقين إن هناك عددا من الشروط الضرورية التي لا غنى للجوالي اليهودية من الأخذ بها، وهذا أمر صعب جدا إن لم يكن مستحيلا، قبل ان يتمكنوا من الاندماج في النفسية السورية والقبول بها وفي النفس الحضاري المنفتح الذي مارسه في تاريخها الطويل. هذا لا يلغي العطاءات المذهلة التي

هل يمكن النظر لليمين
اللبناني أو العنصريين
الأكراد أو غلاة الشيعة أو
السنة أو الدروز أو العلويين
"كرافعات حضارية"؟

قدمها بعض الذين ولدوا يهودا سواء أمارسوا أم لم يمارسوا ديانتهم.

عفوا، كان عليّ أن اطلب منك ان تأخذي نفسا طويلا جدا.

ولتحي سوريا